المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة

٩٠٠٠٠٢٧

بحوث
المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين

المنعقد في مكة المكرمة في المدة
٥ - ٧ شعبان ١٤١٩هـ

الجزء الثالث

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

عبـدالفتـّـاح أبو مدين

رجل الصحافة والفكر والأدب

إعداد
حمزة بن أحمد الشريف
مشرف تربوي ـ محافظة القنفذة

تقديم :

إن دراسة سير الأفذاذ من الرجال أمر مهم ، حيث في كل ذلك أخذ القدوة والعبرة للأجيال ، وكثيرة هي الشخصيات التي وعاها التاريخ وسجل لها مواقف تبقى مؤثرة في بناء الشخصية ، وإن دراستي لشخصية أستاذنا عبدالفتاح أبو مدين وتعمقي في هذه الشخصية خاصة بعد معرفتي عن قرب هذا الرجل جعلني أتابع سيرة حياته المليئة بالصبر والمعاناة وشظف العيش والعصامية ، كان ذلك في حياته أساساً بني عليه مستقبل الأيام في دراسته ورحلته وكسبه المعرفة ووصوله إلى ما وصل إليه من المستوى المرموق ، والتقدم الثقافي رغم قلة سني الدراسة ومراحلها ، وهو اليوم يقف على قمة الأداء الأدبي البارع كتابة وخطابة وقدرة ثقافيّة نادرة . هذا هو الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين ، رجل صقلته الأيام وبنته التجارب فراح يقول :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

ترجمة ووقائع :

إن هذا العلم من أعلام بلادنا يستحق أن يكون شخصية تحتفل بها كتب السير والتاريخ الأدبي في عالمنا العربي ، خاصة وأنّه نموذج نادر في الرجال فلقد ذاق مرارة الحياة وصارع ويلات الحرب التي اجتاحت معظم البلاد العربية في الشمال الأفريقي منذ عام ١٩١١م . عندما كان أستاذنا في سن الطفولة في الوقت الذي كانت فيه إيطاليا تشن حربا شرسة لا هوادة فيها على (ليبيا) وكانت نشأة أديبنا المكافح الطموح . وكان مولده -متعه الله بالصحة والعافية - في ١٣٤٤/٣/٨هـ . حسب بطاقته وإن كان هناك سنة زايدة في هذا التاريخ حيث إن ميلاد أستاذنا حسب التاريخ الميلادي ويوافق

عام ١٣٤٥هـ . أي عام ١٩٢٦م . يقول الأستاذ الأديب الناقد عبدالله الغذامي في مقدمته لكتاب (حكاية الفتى مفتاح) وهي سيرة حياة أستاذنا عبدالفتاح : «ولقد ظللت زمنا أعرف عبدالفتاح أبو مدين ، وأعرف عنه كل ما يمكن أن يعرفه الصديق عن الصديق ، وهي معرفة ثرية وعميقة بأدبياته وأخلاقياته ، ولكنني لم أعرف قط ذلك الفتى المدعو مفتاح بو مدين ، وإن كنت قد أحسست دائما أن وراء صديقنا وأستاذنا حكاية غير عادية ، وما يظهر عليه من صبر وحكمة ورضا لا بد أن وراءها تجربة عميقة أفضت إلى هذه الصفات الحميدة غرستها في روح صاحبها غرسا ظل يستقي من ماء الحياة وسلسبيل الخبرة» هكذا يقول الأستاذ عبدالله الغذامي مشيرا إلى عمق التجربة وصلابة النشأة . ونجد في ثنايا حديث الأستاذ الغذامي ما يشير إلى أن سيرة مصطفى بدر الدين خال أستاذنا عبدالفتاح هي التي فتحت الطريق أمام سؤال الأستاذ الغذامي عن كتابة سيرة أديبنا عبدالفتاح أبو مدين ، وأن الشيخ مصطفى بدر الدين -رحمه الله- كان صاحب منصب مرموق في جمارك المملكة العربية السعودية والذي دعا شقيقته وابنها (مفتاح بو مدين) للقدوم إلى المملكة لأداء فريضة الحج عام ١٣٦٣هـ والاستقرار في المدينة المنورة مع أمه . هناك عدة مواقف ووقائع مرت بأستاذنا عندما كان في ليبيا فقد توفي والده وهو في سن الطفولة ممّا دعاه إلى العمل في هذا العمر الغضّ والتعرّض لأشدّ الأزمات وأصعبها ، فقد عمل في مقهى يمدّ المطالب لأصحابها . وعمل في فرن وعمل مزارعاً وبنّاءً ... كلّ هذا في ذروة الحرب وويلاتها . وكان ينتقل من الحاضرة إلى البادية ومن الصّحراء إلى الجبل ويقاسي شتّى الصّعوبات . وبالرغم من هذا قام بحفظ كتاب اللّه من سورة (النّاس) إلى سورة (الحجّ) . كانت بركة دعاء الأمّ سبباً من أسباب التوفيق بعد توفيق الله تعالى . وكانت النّقلة إلى

جوار مسجد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم نقلة مباركة تعلّم فيها أستاذنا ودرس وحصل الشهادة الابتدائية . ولكنّ وفاة أمّه عام ١٣٦٤هـ . أقضّت مضجعه وسبّبت له الحزن والألم . ولكنّ الرّضا كان يملأ قلبه بما كتبه الله وقضاه . وسعى للحصول على العمل ولم يرد الإثقال على خاله مصطفى بدر الدّين خاصّة بعد إحالته على المعاش (التّقاعد) فتولّى أمر نفسه ورفع برقيّة إلى جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه اللّه- فحصل على بطاقة الجنسيّة ، واستقرّ أستاذنا في جدّة منذ عام ١٣٦٨هـ . وكانت إرادته القويّة تدفعه نحو الثقافة والتزوّد بالعلم والمعرفة . ولعلّ تعرّفه على الأستاذ محمود عارف (ذي الخلق العالي) وهو الأديب الشّاعر والّذي وجّه أستاذنا إلى قراءة (نظرات المنفلوطي) ومجلّة الرّسالة .وكان أديبنا يقتني الكتب على حساب الزّاد فهو يشتري الكتب ويترك الطعام -هكذا هي حال الأدباء وأصحاب الفكر والقلم والبناء المعرفيّ يقدّمون الّذي هو خير على الأدنى .

رجل عصاميّ :

العصاميّة هي صناعة الإنسان لنفسه واعتماده على الله ثمّ علىٰ نفسه ، وهذا هو أديبنا عبدالفتّاح أبو مدين منذ بداية حياته وهو يبني ذاته بذاته . فنحن عرفنا أن والده توفّي مبكّراً وابنه في سنّ الطفولة . ومن ذلك الوقت وهذا الرّجل يتقلّب في شتى أنواع الأعمال التي منها هيّأ نفسه . ويعتبر الصّبر والكفاح والشّجاعة مقوّمات مهمّة في بناء الشّخصية ، فقد كان أستاذنا إلى جانب عمله الصّعب لتأمين لقمة العيش له ولأمّه كان يذهب إلى (الفقي) لحفظ القرآن وحمل لوح الكتابة .

مقوّمات العصاميّة :

١ -السّعي إلى طلب العلم مع صعوبته .

٢ -معايشة الشظف والمصابرة .

٣ -السّفر والارتحال بأقلّ الآلات سرعة .

٤ -مكابدة أيّام الحرب .

٥ -التكفّل برعاية الأمّ بالرّغم من وجود أخوة أكبر منه .

٦ -تأسيس المستوى اللائق أدبيّاً بجهود ذاتيّة .

٧ -تقديم مطالب الثّقافة على مطالب الحياة الأخرى .

٨ -الاغتراب والبحث والإصرار .

٩ -الوصول إلى الهدف من خلال تخطّي العقبات .

١٠-الاعتماد أوّلا وأخيراً على اللّه تعالى .

وبمتابعة هذه المقوّمات نجدها قد مرّت على أستاذنا واستطاع أن يتخطّاها وأن يشقّ دربه للوصول إلى هدفه . وبالرّغم من مزاولته لكثير من الأعمال فإنّه لم ينس يوماً أنّ موقعاً مرموقاً ينتظره ، فإنّه لمّا قدم إلى جدّة عرض نفسه على العاملين في الورش ليعمل معاون ميكانيكي ولم يكن يستنكف من العمل مهما كان نوعه ، ولكن ما كان يصبو إليه أكبر وأعظم . وكان يتمثّل قول الشّاعر :

لأستسهلنّ الصّعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

ولقد انقادت لهذا الرّجل الآمال حتى وصل بكفاحه إلى المراكز المتقدّمة في المجالات التي طرقها وهي كثيرة .

مواقف عصاميّة :

١ -عدم اعتماده على إخوته الأكبر منه .

٢ -قيامه بالعمل منذ بواكير حياته .

٣ -قطعة المسافات ماشياً أو على درّاجة .

٤ -مشاركته في البناء وهو عمل شاقّ خاصّة وأنّه يكون على ارتفاع .

٥ -انقطاعه للعمل بالجبال البعيدة في قسوة الحياة .

كلّ هذا في سنّ لا تتجاوز الخامسة عشرة أثناء وجوده في (ليبيا) ، وعندما جاء حاجّاً ومكث بجوار الحرمين مع والدته لقي كثيراً من ضنك الحياة وواجه ذلك بصلابة وقوّة وكان همّه الوحيد العلم والعمل بل كان يقدّم العلم على العمل . درس وحصّل وواجه الصّعاب وفي هذه الأثناء من عام ١٣٦٤هـ توفّيت أمّه وكم كان ذلك صعباً عليه ولكنّ الرّجل مؤمنٌ وصابرٌ وراضٍ بقضاء الله وقدره .

في رحاب المدينة المنوّرة :

بعد قدوم أستاذنا وأدائه الفريضة أحبّ الاستقرار في مدينة الرّسول صلى الله عليه وسلم ، وفي المدينة استأجر منزلا هو وأمّه ، وكان يتردّد على المسجد النّبويّ حيث لم يكن بعيداً عن سكنه ، وكانت وفاة رفيق دربه ومؤنس وحدته أمّه التي لحقت بالرّفيق الأعلى أثناء وجودهما بالمدينة كما أسلفنا ويقول الأستاذ أبو مدين عن ذلك : «غير أنّ وفاة والدتي ... زاد آلامي وقسوة وحدتي وغربتي ، وهي لم تتخطَّ شهر المحرّم من عام ١٣٦٤هـ . والله سبحانه وتعالى يقول : {وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأيّ أرض تموت} فانتقالها من ليبيا ؛ لترى أخاها وتحجّ فرضها ، ثمّ ترقد في الجوار العزيز

الكريم ، وهو أماني الكثير من من المسلمين» ويقول أستاذنا : «كانت مرارة ، وكان بكاء مرّا وحزناً لأنه فراق من أحبّ ومن يحبّني بأغلى من نفسه ، ويتمنّى أن يهبني الحياة ويذهب ؛ لأبقى ، وهذا امتحان جديد لي ... أقسى وأعنف من سابقه فإلى الله المشتكي والمفرّ ولا رادَّ لحكمه وقضائه» .

بهذا التأبين وبهذا النّشيج الّذي لا يخفى مهما حاول أستاذنا كتمانه فهو جرح لا يندمل ، لما للأمّ في حياة ابنها من تضحيات وتفديات ، كانت الحضن والكنف الذي يأوي إليه في غربته عن أهله سواء في ليبيا أو في جدّة ، ولكنّ جوار النّبيّ صلّى الله عليه وسلم يهوّن من هذه المأساة وحصوله على الموافقة للدّراسة في مدرسة العلوم الشّرعيّة كان في ذلك له عزاء وسلوّ بعض الشّيء . في المدينة المنوّرة كانت انطلاقة أستاذنا يدرس في مدرسة العلوم الشّرعيّة ويجهد نفسه في طلب العلم يقول أستاذنا : «كنت أسكن في بيت اشتراه خالي في السّنبليّة بباب المجيدي وحيداً» ويقول عن دراسته : «واتصلت بالأستاذ عبدالوهّاب بخاري لعوني على فهم الدّروس التي أحتاج وهو رجل كريم على خلق» .

وبهذا الكفاح والضّني استطاع أديبنا أن يشقّ طريقه وينهي منهج السّنة الخامسة في ثلاثة أشهر وهي أشهر العطلة في جوّ قائظ ولكنّ المهمّة أقوى من قسوة المناخ ، وكان شيخه (الحافظ) يتابع المسيرة الموفقة فتقل إلى الصّفّ السّادس الابتدائي ولقي كلّ التّشجيع من مدرّسيه وكانت المدّة التي درس فيها أستاذنا لا تزيد عن سنة هي دراسة السّنة السّادسة الابتدائيّة سبقها أربعة أشهر في الصّفّ الخامس ، ولم يدرس شيئاً عن التعبير فقد كان الاهتمام بدروس الحساب والنحو ، فقد كان تحصيلي في التّعبير ضيّقاً محدوداً ، وقد كنت لا أستطيع كتابة السّطور القليلة في التّعبير ، ولقد كانت

مفاجأة عندما أكملت في درس الإنشاء (التّعبير) لكنّها مفاجأة مروّعة كما يقول أستاذنا عبدالفتّاح . وقد قال الأستاذ الحافظ : «إنّه يكتسب بالمران والممارسة . وليس درساً يكمل فيه الطّالب ولا ينجح» قال ذلك مستاء ، ويقول أستاذنا عبدالفتّاح بعد مرور خمسين سنة : «ربّ ضارة نافعة ، والحمد لله فقد خدمني من لم ينجحني يومئذ ، وأدعو له بالرّحمة ؛ لأنّه كان مخلصاً في رسالته مع ربّه وأمانته ، ذلك أنّه سلك مبدأ : (الدين النّصيحة) . وهكذا كانت المدينة المنوّرة دار سكني وتعليم لأستاذنا -وفّقه الله- ولقد كان موجّهاً أن يدرس في مصر في الجامع الأزهر ضمن بعثة ولكنّ مدير المعارف بالمملكة الشيخ محمد بن مانع «رأى أن أدرس في المعهد العلمي في مكة المكرمة فآثرت العمل والقراءة الحرة لإشباع ما في نفسي من حب للمعارف التي تتاح لي» . ولعل من ذكريات أستاذنا في المدينة تعرفه على (العم زرّوق) وكذلك تعرفه على الصديق والأخ (حمزة على أبو غرارة) ، وكذلك الشيخ (جميل إزمرلي) رجل يعمل بالتدريس بالحرم النبوي ، وعرف أستاذنا من رجال المدينة (على رجب أبو هلال) ، وآخرين .

بين المدينة وجدة :

إن كانت المدينة المنورة قد خرجت أستاذنا متعلما من مدرسة العلوم الشرعية ومن المسجد النبوي الشريف فإن جدة هي التي رعت هذه الشخصية الفذة ، وفيها نما فكر أستاذنا ، ويقول عن جدة : «توجهت نحو الجمارك في جدة للعمل ، وأنا أتحرق شوقا للتحصيل العلمي والفكري ، غير أن حالي لا يعين على الاستمرار في الدراسة المنتظمة ... كما كنت أرغب» ويقول أديبنا : «ومن توفيق الله وعونه ... تعرفي على الأستاذ الأديب الشاعر ذي الخلق العالي ... (محمود عارف) من جدة حين استقررت فيها ، وذلك خلال عام ١٣٦٨هـ .

فأعلنت له حاجتي إلى الزّاد المعرفيّ ، ورجوته النّصح ، والرّجل كريم وسمح وذو مروءة . فأشار عليّ أن اشترى (نظرات المنفلوطي) وأبدأ في قراءتها عليه بعد العصر كلّ يوم »

وهكذا تتلمذ أستاذنا على آداب تلك الحقبة من الزّمان وما قبلها . وهذه مرحلة تكوين حيث كان يقرأ ويصلح الأخطاء ويلخّص ما يقرأ ، وقد امتدّ لقاء أديبنا بالشاعر محمود عارف شهوراً لا تزيد على ثلاثة ، وعندما احتاج أستاذنا إلى التزوّد من القواعد والصّرف تعرّف على المربّي الفاضل الأستاذ ... (حمزة السّعداوي) . وكان مدرّساً في مدارس الفلاح بجدّة ويسكن في الحيّ الّذي يسكنه أستاذنا ، فأعان هذا المدرّس أديبنا بدروس في النّحو والصّرف بلا مقابل كما كان ذلك حال دراسته مع الأستاذ عارف ... ولم تطل مدّة الدّراسة مع هذا المربّي ... كما أنّ أستاذنا قرأ بعض المتون في المنطق والنّحو مع (أبي تراب) . كلّ هذا جاء تأصيلا لدراسة المدينة المنوّرة . وكان لأستاذنا جولات مع الفاقة والشّظف والصّبر والعوز ؛ لأنه كان يفضّل زاد المعرفة على زاد المعدة فكان يقتّر على نفسه في المأكل والملبس ليقتني كتاباً ، يقول عن ذلك : «كنت أعتبر اقتناء كتاب يومئذ غنيمة وأذكر أنّي أخرج من الجمرك في آخر الدّوام وفي جيبي خمسة ريالات ، متوجّهاً شطر سوق النّدى ؛ لأنال غدائي في أحد المطاعم وحين أرمق المكتبة التي كان يقتعد فيها رجل يمنيّ مسنّ يلفّ ساقيه وظهره بحبوته في مبنى من مباني الأوقاف في تلك السّوق ، فهذا الرّجل يقضي القيلولة في مكتبته التي تحوي كتباً قديمة قليلا راغبوها ، أجد الشوق يدفعني إليه ؛ لأشتري كتاباً بثلاثة ريالات مضحيّاً بغدائي» . ولم تنقطع صلة أستاذنا بالمدينة المنوّرة فقد كان يزورها ويزور المسجد النّبوي بها بصحبة صديقة (حسين يحيى) . وذلك في أواخر رمضان

ويصف صعوبة الطّريق وعدم قدرة السّيّارة على اجتياز مراحله الرّمليّة . وبعد الزّيارة وقضاء العيد في المدينة تكون العودة إلى جدّة . وما يزال يتردّد على المدينة المنوّرة . أمّا في جدّة فقد كان لأديبنا جولات في شتّى نواحي المدينة (جدة) ففي مقاهي كيلو خمسة في طريق مكّة يقضي الليل . وعند الصّباح يقوم بالجري لمسافة كيلو . وبعد تناول الإفطار يتوجّه إلى عمله في الجمرك لأداء العمل اليوميّ ، وكان بعض اللّيالي يذهب إلى مقرّ الجمرك ليسهر مع الحارس (عمر باحسين) فيتعشيّان معاً وينامان بجانب البحر على موسيقاه . ويصفها أستاذنا بأنّها من أجمل الليالي وخاصّة ليالي القمر . ويقول الأستاذ عن هذه المرحلة «ودارت عجلة الزّمن بطيئة أحياناً . وسريعة أحياناً وأنا معها أدور في خضم الحياة ، موظّف في وظيفة حكومية ، أنفق شطر ما أتقاضاه في اقتناء الكتب ... لكسب شيء من المعرفة لم يتح لي تحصيله على رحلات الدّرس ، فحرمت خيراً كثيراً وعشت الطّموح بالطّموح والأمل ، جاداً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، أتوق إلى الارتقاء المعرفيّ ، ليست لي أمان أبعد من إمكاناتي ، لا أحسد أحداً ، وأغبط النّاجحين وأحثّ الطّامحين من الشّباب ، وأبتهج بهم وأمسك على أيديهم حين ألقاهم مشجّعاً ومحفّزاً على المضيّ نحو الارتقاء في خضم الحياة التي لا تعرف سوى الإيمان بالله والقوّة سبيلاً» . كانت الأيّام كما قلنا وقال أستاذنا تسير مرّة سريعة ، ومرّة بطيئة . وفكّر أستاذنا في زيارة لأهله في ليبيا -فكانت رحلة تزوّج فيها إحدى قريباته عاد معها إلى جدّة- والأحوال الماديّة والسّكن كانت صعبة فليس لديه المرتّب المجزي ولا السّكن الجيّد- فكيّف ظروفه- وفي هذه الفترة من عام ١٣٧٤هـ كانت الكهرباء في جدّة محدودة . ولكم أن تتخيّلوا كيف كانت الحياة وكيف يكون الاطلاع والقراءة وعوّضوا القراءة واللّيليّة بالاستماع إلى المذياع . وكان

الأستاذ يحبّ الاستماع إلى عميد الأدب العربيّ الأستاذ (طه حسين) كلّ عشيّة. هذا إلى جانب القراءة والتزوّد بالمعارف كان ركيزة ثقافة وأدب عبدالفتاح أبو مدين الذي أصبح فيما بعد رجل الصّحافة والنقد والفكر والأدب ، ولا شكّ أنّ رعاية الأبناء واحتمال مشكلات الحياة تشكّل عراقيل في طريق المثقّف فقد رزق أستاذنا أربعة من البنين وثلاث بنات ، وبعدهم توأم بنت وولد .

نضج التّجربة :

اجتاز أديبنا مرحلة البناء الثقافيّ والنقديّ بما استوعبه من قراءات وتمحيص واستماع إلى برامج إذاعيّة ، كبرامج الأستاذ العميد (طه حسين) ، وكذلك بترسيخ القاعدة النّحويّة والصّرفيّة ودراسة الآداب ومتابعة الوسط الثّقافي محليّاً وعربيّاً وعالميّاً ، ويقول أديبنا عن بداياته : «والحديث عن بدء ممارسة الكتابة ، كان منذ عام ١٣٦٩هـ . في صحيفة المدينة المنوّرة وذلك بكتابة (عمود) (أحاسيس) ولم يكن منتظماً أسبوعياً وإنّما حسبما تتداعى الخواطر . وكان يتناول أموراً اجتماعيّة يعالجها بحرص وأناة وتناول لا يخلو من دقة ودعوة إلى المعالجة المجدية ، وربّما كتبت في تلك الخواطر لمحات أدبيّة» ولقد كان لأستاذنا اطلاع على كلّ ما يصدر محليّاً . ومن ذلك ما قام به الأستاذ (عبدالسّلام السّاسي) في كتابه شعراء الحجاز في العصر الحديث عام ١٣٧٠هـ . وقد حوى سبعة وعشرين شاعراً وهي مرحلة جمع لشعر هؤلاء الشعراء دون دراسة أو نظر . يقول أستاذنا أبو مدين : «وهذه النّماذج الشّعريّة التي جمعها السّاسي وقدّمها في هذا المجلّد ، لم تصاحبها دراسة أو وقفات تأمّل ، وإنّما هي تجمعات إسهاماً من الرّجل الذي أحبّ الأدب ورواه ، أعني الأدب الحديث . كما اهتمّ السّاسي برواية المعارك الأدبيّة بين بعض أدبائنا . وللسّاسي في عام ١٣٦٨هـ . كتاب عن ثلاثة شعراء هم -حمزة

شحاته- ومحمّد حسن عواد- وأحمد قنديل . وفي هذا الكتاب قصائد من اختيار السّاسي» - ولأستاذنا رأي حول هذه الكتب وما جاء فيها بل إنّه تصدّى لشعراء الحجاز في كتاب السّاسي بالنّقد وهو في بداياته لانغراس حاسّة الأدب في نفسه . وكان ينشر في صحيفة البلاد السّعوديّة ولكن لم تستمر هذه الكتابة ؛ لأن النّقد كان ينال بعض الشّخصيّات المرموقة حين ذاك في السّاحة الأدبيّة . فقد رفضت الصّحيفة موضوعاته رغم ما كان يكتب نقداً أدبيّاً لأشياء يراها تستحق الانتقاد . يقول أستاذنا : «ووجدت شعرا مهلهلا يستحق أن يغربل ويقوّض وأن يقال لأصحابه ... إنّ هذا ليس شعراً يستحقّ أن يقرأ وأن ينشر» ولقد كتب الأستاذ الشّاعر (حسن عبدالله القرشي) ردّا على مقال نشر حول هذا الموضوع في البلاد السّعوديّة تحت عنوان «النّقد وعبث صغار الكتاب به» ولم ينشر بعد ذلك لأستاذنا نقد في الصّحف المحلّية فراح ينشر نتاجه في صحيفة مصريّة اسمها (الأحوال) وكانت غير معروفة كما قال أديبنا (مغمورة) . فقد كان ينشر نقده حول شعر شعراء بلاده حتى قال أحدهم وهو الأستاذ (عبّاس حلواني) رحمه الله وقد ناله شيء من نقد أستاذنا في مقابلة مع الشّاعر الأستاذ محمود عارف : «إنّ فلاناً يعني الأستاذ عبدالفتّاح ليس عنده إلا خبز ونقد وليس مشغولا بشيء» وقد تصدّى أديبنا بالنّقد والدّراسة والقراءات للدّواوين الشّعريّة كدواوين الشّاعر طاهر زمخشري وقرأ القرشي وقد درس وانتقد في هذه الفترة كتابين للأستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي حتى قيل عنهما : (فيهما سخف وعبث) ودارت بين أبو مدين والخفاجي معارك أدبيّة -جاء ذكرها في كتاب (أمواج وأثباج) الذي يحوي نقداً تنوّعت جوانبه .

بهذا السّعي والكدح والسّفر والضّنى والتزوّد بالمعرفة ، وتقديم الزّاد المعرفيّ والسّهر والتقلّب في مناحي الحياة في أعمال شاقّة ومرهقة إلى جانب حفظ بدائي لكتاب الله ودراسة لم تجاوز شهورها العشرة - يصبح كاتباً بل وناقداً يوقف عند رأيه ويؤخذ بقوله . بل يشارك في إصدار صحيفة هي صحيفة (الأضواء) الّتي تصدر في جدّة في نهاية عام ١٣٧٦هـ . وهو يعمل موظفاً في الجمارك . وعندما تتاح له الفرصة يؤسّس صحيفة الرّائد الأدبيّة (مجلّة الرّائد) ومضى بها في طريق النّجاح واستطاع إيصالها إلى جميع أنحاء الوطن .

وكنت أطالعها في الثمانينات هنا في القنفذة وكتب فيها من القنفذة شباب كانوا في سنّ تسمح لهم بالكتابة ولم أكن وقتها في سن تمكنني من الكتابة فكنت أقرأ الرائد وأحرص على قراءة الصفحات الأدبية والشعر . وبقيت هذه المجلة تحت رئاسة أستاذنا عبدالفتاح تصدر في وقتها حتى جاء نظام المؤسسات في نهاية عام ١٣٨٣هـ . وانتقل أديبنا إلى مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر موظفا في إدارتها حتى أسند إليه عام ١٣٩٣هـ . مسؤولية عدد عكاظ الأسبوعي وهي ولا شك مسؤولية كبيرة ، وقد نجح في إخراجه . وبعد ثلاث سنوات استقال من مؤسسة عكاظ لاختلاف بينه وبين مدير المؤسسة وانتقل بتجربته الصحفية الناضجة إلى مؤسسة البلاد للصحافة والنشر ، وكانت مؤسسة البلاد حينذاك تعاني من عجز ، فأنشأ أستاذنا والأستاذ الدكتور (حسن أبو كبة) مطابع البلاد لينقذ المؤسسة من التردي في زيادة من العجز . ولعل تجربة الأضواء والرائد لها دور في القدرة الصحفية عند أديبنا فهو يروي لنا كيف بدأت فكرة الصحافة عنده يقول : «لهذا فإنني أقدم إلمامة موجزة عن تلك التجربة التي تشبه المغامرة ذلك أنه يقصد الشباب له طموح وتطلع

ارتقائي، ولو لم تكن له قدرات وإمكانات ولعلي أحد هؤلاء» وهذا تواضع كبير من هذا الرجل العصامي الجاد الواثق ، فهو يشبه دخوله إلى عالم الصحافة بمغامرة جريئة ، دخلها بكل ثقة ، وكانت مقوماته الثقافية تمكنه من القيام بهذا العطاء الجديد (الأضواء) وقد كان ذلك عام ١٣٧٦هـ . حيث كان اللقاء بين أبي مدين وصديقه (محمد سعيد باعشن) وقد كانت هذه الصداقة أيضاً عن طريق أديب وشاعر هو خال محمد باعشن ، إنه (محمد حسن عواد) - عندما التقى الصديقان أبو مدين وباعشن كانت فكرة الباعشن بتجميع مقالات أدبية تصدر في كتاب كما كان يفعل بعض الأدباء ، ولكن فكرة الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين كانت إصدار صحيفة . وكان مع الصديقين صديقهما (محمد كامل خجا) من المدينة . وكانت الفكرة إصدار صحيفة أسبوعية في جدة وتوصلوا إلى الاسم (الأضواء) .

مراحل الإنجاز :

بعد الاتفاق بين الأصدقاء على اسم الصحيفة ، اجتمع أستاذنا وصديقه الباعشن والشيخ محمد الطويل أحد كبار ووجهاء جدة ، وله تاريخ عريق مشرق ... واشتهر بعمل المعروف ... هذا ما شهد له به أديبنا أبو مدين . والطويل من الرجالات الكبار الذين كان لهم موقع في أيام الملك عبدالعزيز رحمهما الله ... كان لقاء الصديقين عصر اليوم نفسه لإقرار اسم الصحيفة . وبدأت إيجابيات العمل من منزل الشيخ محمد الطويل الذي انضم إلى المؤسسين محمد أمين يحيى وعبدالعزيز عطية أبو خيال،وبعث الطلب إلى المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر، وبعد شهر ونصف جاءت الموافقة وتحققت التطلعات ، وبدأ العمل من نقطة الصفر ، وكان أستاذنا بطل هذه التجربة والمغامرة والمبادرة . ويقول الأستاذ أبو مدين عن هذه المرحلة : «وأنا لي أصدقاء أنال

عونهم حين أدعــوهم إلى ذلـك ، وفي مقــدمتهم الأخ حمــدان صدقة فهو نعم المجيب ... والبدايات صعبة ، ولكن أمام العزم يذلل الصعب وربما المستحيل» ... وكانت الأحوال المادية صـعبة ، فـاقترض الرفاق ألفي ريال من بيت زينل رضـا – ويسدد المبلغ على شكل إعلانات تنشرها الأضـواء . وكان هذا المبلغ لشراء بعض الأثاث واستئجار شقة في عمائر البنك الأهلي في حي باب شريف وأيضاً تنشر الأضـواء إعلانات للبنك مقابل الإيجار . وبعد ذلك تم الاتفاق مع مؤسسة الطباعة والنشر في كيلو(٥) طريق مكة .

ومما يرويه أستاذنا عبدالفتاح أبو مدين حول هذه الزيارة والتفاوض مع محمود رضا أن الشاعر أحمد الغزاوي وهو أديب وكاتب وكان نائب رئيس مجلس الشورى سال عني وعن صديقي محمد سعيد باعشن فقال له : إنهما فلان وفلان ، جاءا للتفاوض لطباعة صحيفة لهما اسمها الأضـواء ، وكنا مرتبكين أمام هذا الرجل العملاق ، وتحرش بنا ولوح بعصاه في الهواء وقال : إن من ينتقدني أضربه بهذه العصا . ويقول الأستاذ عبدالفتاح : إنه انتقد قصيدة للشاعر الغزاوي وكانت على نهج قصيدة المتنبي :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم

حيث قال الغزاوي :

الشرق عوفى وقد عوفيت والعرب

ولم يعترض الشاعر الغزاوي على نقد الأستاذ أبي مدين له بل أصبحا صديقين ، وهذا دليل على أن الشاعر الغزاوي من ذوي النفوس العالية والعقول الراجحة كما قال عنه أستاذنا .

وتعلم الأستاذ ورفيق دربه الباعشن كيفية عمل الماكيت وجمعا المادة في العدد الأول الذي صدر عام ١٣٧٦هـ . في ذي القعدة ولم يحتاجا إلى فني

المطبعة في عددهما الثاني فقد قاما هما بعمله حبا لهذه المهنة بباعث ذلك الطموح والجد . ولقد وضعت الإعلانات الخاصة بصدور الصحيفة على واجهات بعض الأماكن العامة ، منها ســاحة قهوة بشيبش شارع قابل . وصدر العدد الأول برئاسة محمد سعيد باعشن . وكانت الشؤون الإدارية والمالية والتحرير يقوم بها أستاذنا عبدالفتاح ويتولى المسؤولية في غياب صديقه . ولقد كان أستاذنا يتولى بنفسه حتى كتابة أسماء الذين ترسل إليهم الصحيفة وتبعث لهم بالبريد وهذا عشق العمل الصحفي .

الرائــد :

سعى الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين إلى إصدار صحيفة أو مجلة هي مجلة الرائد الأدبية التي جاءت بعد توقف الأضواء - وكان قرار إصدار الرائد بعد أخذ إذن إصدار هذه المجلة- التي يرأسها وهو صاحبها . وهذا دليل الثقة والطموح والسعي الجاد . ولعل ما قام به أستاذنا في مجلة الرائد من توجيه الشباب ونشر ما يبدعون أمر تشهد به الأجيال ، ومنهم الأساتذة والدكاترة حاليا : هاشم عبده هاشم ، وعلى العمير ، وحسن الهويمل ، ومحمد أبو سليم، وراشد الحمدان ،وعبدالعزيز النقيدان ، وصالح الوشمي .

ولقد وصف أستاذنا أبو مدين ما قام به من جهود في الكتابة إلى ولي العهد الأمير فيصل بن عبدالعزيز . ولم ينقطع عن الكتابة حتى سمح له بعد ثمانية أشهر من المكاتبات فجاءت البشارة عن طريق الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بأن الأمر السامي قد صدر بالسماح لأستاذنا بإصدار مجلة أسبوعية باسم (الرائد) وبدأ الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين مشواراً جديداً وبمفرده لإصدار المجلة الجديدة (الرائد) . وكان الاتفاق مع الأستاذ محمد حسين أصفهاني صاحب مطابع الأصفهاني ، فكانت الإجابة بالموافقة . وهذه الدار

كانت تطبع صحيفة البلاد السعودية ، وصحيفة الخليج العربي التي كانت تصدر في الخبر لصاحبها الأستاذ (عبدالله أحمد شباط) -وتطبع هذه الدار أيضا صحيفة (الأسبوع التجاري) لصاحبها الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة ... وغيرها رغم هذا وافق صاحب دار الأصفهاني على طباعة (الرائد) ولعله من الجميل ذكر تلك الحادثة التي رواها أستاذنا عن الشيخ إبراهيم الشورى الذي كان مديراً للإذاعة والصحافة وهجومه على الأضواء وماضيها وكيف تكون الرائد امتدادا وما دار بين أستاذنا والشيخ الشورى وكيف تدخل الأستاذ الرفاعي لتهدئة الوضع .

وكان صدور العدد الأول من الرائد ، في غرة ربيع الأول عام ١٣٧٩هـ . واستمر الإصدار عاما كاملا صدر خلاله (٢٤) عددا ثم أسبوعية في حجم نصف الجريدة تعني بالأدب والمجتمع .

ولقد كان لأستاذنا فضل نشر تلك المعارك الأدبية التي تثير الجو الأدبي وتثريه ، وربما افتعل أديبنا بحسه الأدبي معارك أدبية لتحقيق الرواج لمجلته لما في ذلك من إثارة ومتابعة وكان يبتعد عن التجريح الشخصي وتهذيب المقالات بما يناسب الموضوع النقدي ، ومن ذلك ما ثار بين (أبي تراب) و (علي دمر) الشاعر السوري . و(علي دمر) مع (أحمد الذهاب) وهو لبناتي خطاط ويعشق الأدب . وقد كانت الرائد مفتوحة للشباب ونشر نتاجهم وتشجيع آرائهم . فمن جازان الدكتور هاشم عبده هاشم عضو مجلس الشورى حاليا ، وعلي العمير الأديب والكاتب وهو ابن الموسم ، وراشد الحمدان ابن المجمعة ، ومحمد أبو سليم ابن عنيزة . وكانت معارك الشيوخ والشباب تثور دائما وينازل فيها الشباب شيوخهم ، وكان علي العمير وراشد الحمدان هما اللذان يشعلان فتيل المعارك الأدبية ضد الشيوخ . وأستاذنا يدرك ثراء الكلمة الثائرة عندما تجيء

مدعمة بالرأي والمنازلة . وكان أستاذنا يدلي برأيه ويحرض كلا الفريقين ضد بعضهما لتبقى الجذوة وتستمر الرائد في طريقها . وكان الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين ممن يثور ويغضب لبعض المواقف كتأخر صدور الصحيفة .

حرية الصحافة :

كان ذلك في عهد الملك فيصل حينما قال -يرحمه الله- : «ارفع الرقابة عن الصحف ، فهؤلاء مواطنون يعرفون مصلحة بلادهم» قال ذلك لنائب مدير المطبوعات الأستاذ حسن أشعري . فهذه ثقة منحها ولي العهد حينئذ فيصل بن عبدالعزيز يقول أستاذنا عبدالفتاح : «أقول : إننا تنفسنا الصعداء بزحزحة الرقابة عن صدورنا وقد كانت عبئا ثقيلا ونحن قد دفعنا الثمن غاليا» إلى أن يقول : «والصحافة تتميز بالجرأة والشجاعة والصحافي يموت في جبهات الحرب فالصحافة شجاعة في غير تهور وجرأة في غير جنون أو عبث» .

ويسرد أستاذنا قصة التعب والسهر بشأن مجلته التي جعلها بعد عيد الجلوس أكبر حجما . وعارضت وزارة الإعلام هذا إلى أن سمح جلالة الملك سعود -رحمه الله- ببقاء الرائد في حجمها الكبير نفسه ٤٣×٦٠سم. وقد انتهى ذلك الإشكال في وقت قياسي لم يزد على أسبوع ولم يختل إصدار المجلة في وقتها وهذا كان بسبب إصرار أستاذنا وكفاحه من أجل صحيفته ودفاعه عن رأيه حتى جاءت الأمور بتوفيق الله ثم أوامر ملك البلاد بالسماح له بما عرضه من فكرة . عندما جاء تحويل الصحافة إلى مؤسسات في ١٣٨٣/٨/٢٤هـ. (١٩٦٤/١/١٣م) وحاول أديبنا أن يكوّن (مؤسسة الرائد) وقدم بيانات الأسماء ولعدم موافقة وزارة الإعلام على تلك الأسماء ومطالبتها بأسماء أخرى وصل مسار الصحافة مع أبو مدين إلى طريق مسدود كما جاء ذلك في ذكرياته الصحفية (وتلك الأيام).

وانتقل الأستاذ ليعمل في وزارة الخارجية ليمكث خمس سنوات في سفارة المملكة بليبيا ، ليرحل عنها عندما تغيرت الحياة بها ويعود إلى جدة ليبحث عن عمل جديد فعمل في عكاظ بمرتب زهيد خمسمائة ريال . ويصعب الوضع ولكن أستاذنا طراز نادر في الرجال يعرف الحياة وهمومها وما يفعله الزمان في أهله وكما يقول : (نعم المؤدب الدهر) . وما زال به المطاف في عكاظ إلى أن أصبح مدير إدارة ، ثم أسند إليه العدد الأسبوعي بعد أن ترك مسؤولية الإدارة بسبب اختلاف في وجهات النظر بينه وبين مدير المؤسسة فهو رجل مغامر ، وأستاذنا رجل قوي صعب المراس يتمسك بموقفه فهو رجل مواقف جاد . وشاء الله أن يصبح عضواً في مؤسسة عكاظ بخمسة أسهم ، وقد كان أستاذنا يمر بضائقة في هذه الفترة بين عام ١٣٩٢هـ . وما بعده . وبالرغم من جهود أديبنا في العدد الأسبوعي وجودة إخراجه ورواجه فإن المؤسسة لم تزد مكافأته عن ألف ريال . وقد جلب أبو مدين الخير للعدد الأسبوعي بما ينشر فيه من مادة وإعلانات هي (عصب) الإدارة . وهذا وعي صحفي وإداري اكتسبه أستاذنا من حرفه الصحافة في الأضواء والرائد . واستمر العدد الأسبوعي يصدر إلى عام ١٣٩٦هـ . وسبب ذلك اختلاف في المشارب ووجهات النّظر . وقدمت الاستقالة وبقي الاسم ضمن رأس العدد لمدة أسبوعين ثم أبعد الاسم .

ومن ذكريات عكاظ أن أستاذنا انتقد ذات مرة عمر أبو ريشة ، حين ألقي بعض أبيات من قصيدته عن الملحمة المحمدية في منى تالي أيام النحر وكان قد ألقاها سابقا فقال أستاذنا : «إن هذا لا يليق في بلد الشعر والشعراء فإما أن يأتي الشاعر بجديد أو أن يصمت» فعوتب أستاذنا من بعض الأصدقاء .

في صحيفة البلاد :

يصف أستاذنا عبدالفتاح معاناته في عكاظ وتركه العمل بقوله : «تركت عكاظ في الشهر الخامس عام ١٣٩٦هـ . وظللت بلا عمل إلى منتصف شوال من العام نفسه» ... وجاء الأستاذ عبدالله مناع يقنع أستاذنا بالعمل في صحيفة البلاد مديرا يقول الأستاذ أبو مدين : «اتصل بي أخي المناع يعرض عليّ العمل في إدارة مؤسسة البلاد وليس بد من قبول هذا العمل ؛ لأن الصحافة والالتصاق بها علمي الذي أحسنه» بهذه الكلمات يوضح أستاذنا رجل الصحافة ارتباطه بالمجال الصحافي وحبه له ومنه نستدل على أهمية حرفة الصحافة قبل حرفة الأدب . والصحافة هي ميدان الأدب ومجاله فطالما خرجت الصحافة الأدباء وصنعت النقاد وتوجت أعمالهم ، ومن الصحافة تنهل الأجيال وتتعرف على الرجال من المبدعين . بدأ أستاذنا أبو مدين العمل في إدارة صحيفة البلاد في ١٣٩٦/١٠/١٥هـ . وكانت جريدة البلاد تمر بأزمة مالية ، فكان على أستاذنا أن يعمل ليرفع موارد المؤسسة . والبلاد كما نعرف صحيفة عريقة ، فقد صدر عددها الأول في ١٣٥٠/١١/٢٧هـ . وكان اسمها (صوت الحجاز) . ولقد أخذ أستاذنا قراراً لرفع الدخل للمؤسسة عن طريق امتياز الإعلان ومقارعة تهامة ومروة . وأخذت مروة الامتياز بمبلغ مليون ومائتي ألف ريال . وهذا فوز في المجال الصحفي . ولعل فكرة إنشاء مطابع دار البلاد للصحافة والنشر كانت فكرة أستاذنا أبو مدين مع الأستاذ حسن أبي ركبة ، وسعيا معا حتى تم هذا المشروع وانتعشت به صحيفة البلاد . وإذاً فهذان عملان مهمان لإنجاح أية صحيفة . امتياز الإعلانات وإنشاء المطابع . وكان رأي وجهد أستاذنا عبدالفتاح له دور في ذلك كله .

وبعد كفاح المرير في إدارة الصحيفة ولما نشأ من الخلافات أو ما كان إرهاصا لخلافات قبل ذلك قدم أستاذنا استقالته وترك المؤسسة وهي في أوج مجدها .

بين النقد والصحافة :

كانت التجربة النّقديّة عند عبدالفتاح أبو مدين أسبق من التجربة الصحفية ، فقد أصدر أستاذنا كتاب (أمواج وأثباج) قبل دخوله معترك الصحافة ، إذ كتب أستاذنا آراءه النقدية منذ عام ١٣٧٠هـ . وقبلها بقليل ، أما الصحافة فقد كانت بدايته فيها منذ عام ١٣٧٦هـ . وكانت أول دراسة نقدية أصدرها أستاذنا هي عن كتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث) ألفه الأستاذ عبدالسلام الساسي ورأى أديبنا أبو مدين أن الشعراء الذين جاء ذكرهم في الكتاب المذكور لم يكونوا شعراء بالمعنى الحقيقي فهم كتاب أو لهم مشاركات قليلة ونادرة في الشعر . وكان الأفضل كما يقول أستاذنا أن يسمى الكتاب (نخبة من شعراء الحجاز) أو (أشهر شعراء الحجاز) والكتاب قد أهمل بعض أسماء ذات نتاج جيد في الشعر . ونقد الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين مقدمة كتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث) التي كتبها حمزة شحاته ، وقال الأستاذ عبدالفتاح : «إن المقدمة عبارة عن رموز ومعميات لا تمت بصلة إلى ما جاء في الكتاب» واستتبع أستاذنا دراسته وآراءه حول ما جاء من قصائد وما فيها من أخطاء في الأوزان ناهيك عن المعاني . ومن أراد متابعة الموضوع فهو ضمن كتاب أمواج وأثباج صفحة (٢١) فهناك وقفات أدبية شجاعة ناقدة لأستاذنا .

حول كتاب أمواج وأثباج :

هذا الكتاب يحوى تجربة أستاذنا في النقد وشجاعته في إصدار الرأي الصائب . والكتاب كما نرى قَسَّم الأدب أو الشعر إلى عال ومنحدر فالأمواج هي تلك الإبداعات الجيدة العالية التي تشبه علو الموج وقمم النتاج -أمّا ما يسمى الأثباج فهي الإسفاف في النتاج فهي أشبه بما نراه بين الموجة والأخرى- وهذا الكتاب جاء في (ثلاثة وخمسين) موضوعا كلها في أسلوب جيد جاد ناقد بناء اختيرت عناوينها بدقة وعناية وجاء تجردها دليلا على ثقة وطموح. يقول الأستاذ محمود عارف الشاعر والأديب تحت عنوان هذا الكتاب : «والقلم الشجاع والقلب الفاضل كلاهما من مميزات الأديب الحق ، وكلاهما أيضاً من مقومات الشجاعة الأدبية وأصالة الأدب ، هي السمة البارزة في منتجات هذا الأديب الشاب ، كما أن الشجاعة الأدبية هي الطابع الأصيل في الكفاح الأدبي الدامي الذي يؤديه الأستاذ أبو مدين في شتى ميادين التقويم والإصلاح العام . وهو لهذه الشجاعة التي نلمس آثارها بصورة واضحة في كتاب (أمواج وأثباج) يستحق الإعجاب والتقدير»

فهذا التفريظ جاء من تعمق أفكار أديبنا الفذ . ولم يقل الأستاذ عارف قوله هذا إلا بعد دراسة ما أنتجه أستاذنا أبو مدين من أدب وفكر ، وخاصة أنّ كتاب (أمواج وأثباج) يعتبر باكورة الأستاذ عبدالفتاح وهو تجربة أدبية نقدية رائدة . ولعلي أقف مع بعض العناوين التي تمعنتها في كتاب (أمواج وأثباج) فمن ذلك (ليالي الهرم) ديوان شعر للشاعر (صالح جودت) فقبل أن يدرس أستاذنا قصائد الديوان عقب على بعض أفكار الشاعر ، كرأيه حول مقامات الحريري وإصدار الشاعر رأيه حول مقامات الحريري وهجومه على أسلوبها ، وكذلك إطراؤه لشوقي واعتباره أمير الشعر العربي وتصدى له أديبنا ودافع عن

التراث الأدبي في المقامات وأنها كتبت قبل زماننا هذا وأنها كانت حينها مناسبة ولها حتى اليوم صدى . أما تميز شوقي فهذا ما يعتبره أستاذنا تجاوزا ودعا الذين يقولون مثل هذا القول إلى الاقتصـــاد في أقوالهم . ثم يتعرض أستاذنا لنقد قصائد الديوان . حتى يقول : «وجودت رجل صحفي ناجح وإذا صح لي فإني أسمي هذا الشعر بـ (شعر الصحافة) إذا كان للصحافة شعر وأنا لا أنكر أن لجودت شعرا فيه بعض خيال محلق» كما قام أستاذنا بدراسة لديوان (الحنين الظامي) وهو للشاعر الليبي (علي الرقيعي) وقد أثنى أستاذنا على موهبته ، ويصف الأستاذ أبو مدين ليبيا بأنها لم يكن لها تراث أدبي من قبل يعتمد على التجديد فهم يعتمدون على ما يصلهم من الشرق ، وقد أنهى أستاذنا هذا الموضوع بقوله : «وشعر هذا الديوان فيه الجيد والجميل ، وفيه الوسط وفيه الرديء إلى حد ما ، وأكثره شعر حي مشرق ترفرف عليه نسمات الربيع وخفقات الخريف ، وتعروه أعاصير الشتاء ووهج الصيف» . وفي موضوع رسالة النقد في كتاب (أمواج وأثباج) يقول الأستاذ أبو مدين : «إن الناقد بالنسبة للمنتج ... هو بمثابة الراعي وراء القطيع من المواشي ، وهو إذا غفلت عينه فيحدث :

١- غزو الذئب .

٢- انطلاقها في الزرع .

وكلا الأمرين فيهما خسارة مشتركة . إن تجريد النتاج من عوامل النقد ضرر على أي مجتمع» . وهذا كلام صائب وفيه تأكيد لدور النقاد وأهمية ما يقومون به من دراسات وتمحيص .

وبعد ، فكتاب (أمواج وأثباج) كتاب نقد وتمحيص وهو أول إصدار بدأ به أستاذنا أبو مدين حياته الأدبية . هذا الكتاب فيه روح ناقد قدير وقلم مبدع

يمتلك ناصية القول . وأدوات النقد عند أستاذنا ناضجة والحس الأدبي لديه متجدد يجعل من الدراسة حقلا له ثمره اليانع ومردوده الطيب .

عناوين النتاج :

إن مما يلفت نظر المتابع والأديب والدارس ومحب الأدب ما يمتلكه أستاذنا عبدالفتاح من قدرة على تهيئة الكلمة لخدمة المعنى سواء فيما يكتبه على شكل موضوعات أو ما يعنون به من موضوعاته وكتبه . فقد كتب في بداية حياته تحت عنوان (أحاسيس) وهو عنوان وافر المعنى عميق في قيمته الأدبية . وكتب تحت عنوان (من أحاديث الحياة والناس) . وتحت عنوان (بعض القول) . وهذه العناوين ذات مدى أدبي بعيد وتدل على القدرة الاختيارية عند هذا الرجل الفذ وها هو ذا يعود ليكتب تحت عنوان (موج) وهذا صدى لماضيه العريق في (أمواج وأثباج) وهذا دليل على اقتناعه بما يختار من عناوين . وعندما نعود إلى كتبه التي ألف نجدها قد اختار لها العناوين التي توحي بمكانتها الأدبية . وقبل هذا ننظر ما اختاره لصحيفتين أشرف عليهما وهما :

١-الأضواء

٢-والرائد

*فالأضواء تكشف الخفايا بل توضح الحقائق

*والرائد لا يكذب أهله ، والريادة تكليف له ما بعده

هذان عنوانان اختارهما أستاذنا وكان موفقا فيهما وحق له ذلك فهو صاحب حس أدبي رفيع وقلم مبدع قدير .

*أما الكتب التي ألفها فهي غاية في اختيار عناوينها وتحس عمق التجربة من خلال هذه العناوين ، فكتاب (أمواج وأثباج) كتاب نقدجريء

فيه الموج العاتي من شعر أو نثر رأي أستاذنا رفعتها ، أو نتاج فيه إسفاف تعرض له بالنقد ورأى أنه يشبه الانخفاض بين الموجتين (الأثباج) .

*وفي كتابه (وتلك الأيام) تجربة صحفية وقدرة بلاغية ، فهذا جزء من آية كريمة ﴿ وتلك الأيام نداولها بني الناس ﴾ . ويكفي هذا بيانا ، فإن الأيام منها حلو ومر وكذلك أيام العمل الصحفي والأدبي .

*أما كتابه (في معترك الحياة) فكتاب تجربة اجتماعية فلسفية نقدية جادة تناول فيها شتى الموضوعات وسبر أغوارها .

*أما التحليل لشخصية الشاعر (حمزة شحاته) فقد جاءت دراسة تحلت بالرؤية الصادقة وجعل عنوانه (حمزة شحاته ظلمه وعصره) وهذا الكتاب تحفة أدبية راقية . وفي سيرته الذاتية عنوان ذو مغزى يدعوك إلى المتابعة والقراءة (حكاية الفتى مفتاح) . فقد جاءت شهادة الأديب والناقد السعودي الأستاذ سعيد السريحي في الغلاف الخلفيمن كتاب (حمزة شحاته) . يقول : «حين يكتب تاريخ الحركة الثقافية في المملكة ، ثم لا يكون اسمك فاتحة في هذا التاريخ ، فسوف يكون تاريخا ظالما ومظلوما ما قمت وتقوم به ... يعلمنا كيف يكون الرجل عالما والعالم رجلا في آن واحد» . جريدة المدينةالمنورة العدد (٩٦٠٣) الجمعة ١٤١٤/٣/١٣هـ . ١٩٩٣/٩/٣م .وهذه الشهادة لأستاذنا هي شهادة الوسط الثقافي والأدبي في بلادنا ،إذا ما درسنا سيرة الفتى مفتاح وما فيها من الكفاح والتضحيات .

*ويأتي كتاب أستاذنا (الصخر والأظافر) ليعيد الأذهان إلى تلكالتجربة النقدية الرائدة القديمة الجديدة (أمواج وأثباج) وعلى الغلاف الخلفي من هذا المؤلف يقول الدكتور الأديب الناقد عبداللهالغذامي : «عبدالفتاح أبو

مدين ليس مبدعا في إنتاجه الكتابيوالثقافي فحسب ... ولكنه مبدع في عمله. وفي تصديه للعمل وفي أخلاقيات العمل وفي حماسه للفكرة التي يؤمن بها ، وأعتقد أنناسنظل نسجل لعبدالفتاح أبو مدين هذا الدور الفاعل الحقيقي في تفعيل الثقافة وفي تحريكها وفي جعل العمل الثقافي يتحول إلى إنتاج فعلي يجسد على المنبر وعلى الكتاب وعلى الدعوات المستمرة ،وعلى إقامة المؤتمرات وإقامة الندوات ، هذا الرجل يستطيع كل من تعامل معه أن يدرك هذا الجانب الذي نسميه أخلاقيات العمل حينما يتحول العمل إلى مشروع حياة ، وكأن خدمة الآخرين وخدمة الثقافة هي مسألة ذتية بالدرجة الأولى، يقدمها لنفسه ويتفاعل معها . ولذلك فإنّ عبدالفتاح أبو مدين سيكون من الرجال القلةالمعدودين في عالمنا العربي الذين انطلقوا بالثقافة وفتحوا آفاقها فوق سائر الحدود وقيود الجغرافيا ، ونحن هنا في المملكة العربية السعودية نستطيع أن نتفاخر بأن لدينا رجلا اسمه (عبدالفتاح أبو مدين) .

وهنا تجتمع ثلاث رؤى ، وهي لأدباء جهابذة هم :

١-الأستاذ محمود عارف

٢ -الأستاذ سعيد السريحي

٣ -الدكتور عبدالله الغذامي

كلهم يشهد لأستاذنا بالمكانة الأدبية الرفيعة والكفاح من أجل رفعة الثقافة وطالبيها. ويتسدعى الحديث عن العناوين الحديث عن عناوين منجزات (نادي جدة الأدبي) برئاسته -متعه الله بالصحة- فمن ذلك :

١ علامات : دراسات في الأدب والنقد ، وهذا عنوان جميل يوافق المطمح ويصيب الهدف .

٢ -نوافذ : إصدار له أبعاده العالمية فكأنه المنفذ على العالم .

٣ -الراوي : وهو إنجاز قلمي راق ، وهو يروي صامتا ويروي العطش الثقافي .

٤ -عبقر : الوادي ملهم الشعراء والعنوان دليل على الإصدار .

ولعلي لا أبرح مكاني هذا دون أن أذكر شيئاً من لقاءاتي به -أمد الله في عمره- فقد التقيت به أول مرة عام ١٤٠٠هـ . في مدينة القنفذة عندما قدمت حفلا خطابيا ، وقدمت أستاذنا ليلقى كلمة ، سألني : أين تعمل ؟ فقلت : مدرس ، من هنا كانت البداية ... وبعد ذلك جئته أعرض عليه شيئاً من نتاجي الشعري وقرأته عليه وناقشني في معانيه وإعرابه وراسلته ووجدت منه كل تجاوب وساعدني في نشر قصائدي في الصحافة ومنحني بطاقة العضوية في النادي عضوا منتسبا دائم العضوية منذ عام ١٤٠٢هـ . وما زال يقدم لي العون إلى أن طرحت ديواني الأول (الشواطىء) بل وقدم لي وشجع العمل بروح طيبة ومد لي يد العون في مشواري الأدبي . وأقول هنا كلمة حق عن أستاذي عبدالفتاح أبو مدين : فهو رجل يقدم العون ولا يخبرك بما فعل بل يدع الوقائع تشرح ما قام به ،وكنت أجد جهده ممتداوعونه وافراوتوجيهه مثمرا إلى يومنا هذا داعيا له بطول البقاء . وأختم بحثي هذا بهذه القصيدة التي ألقاها الشاعر الأديب محمود عارف في دار الأديب عبدالمقصود خوجه في تكريم أستاذناوأديبنا عبدالفتاح أبو مدين وقد جاءت على غلاف سيرة حياة أستاذنا (حكاية الفتى مفتاح) .

تحية تكريم :

صاحب الأضواء والـرائد أهدي
لك من أعماق قلبي صـدق ودي
جئت في تكريمـــك اليـوم أؤدي   بعض أفضالك في حجم اختصار
المـــزامـــير اللـــواتـي صـــدرت
باحتضان منك طابت واستعزت
لســت أنسى اليــوم إذ قد طبعت   قبل أعوام ... وقد كنت السبب!!
والــذي أفـضــلتـــــه كـان وفـــاءً
مـــن أخ طـــاب شـــعوراً وإخـاء
والـــذي فيـك تســامي وتــراءى   صـــورة المخلص قلبا ولســانا !!

هذه الأضواء في دنيا الصـحـف
حقـقت أشـــياء من غير ســرف
وانتـــهى الأمــر بما لا يخـتـلف   فيه شخصان .. فما كنتتخور!!
عدت بالرائـــد أقـــوى جـولـةً   تنشر الحـــق ، وتعـــلو همـــة
كلـما ســطرت فيهـا صـفحـة   صـفق القــراء شــيـبا وشبابـا
أنت قد أسـهمـت فـــي معتــرك

بيـــــــرا ع وفـــم مشــترك   في حيـــاة مـن مـدار الفـــلـك
يلتــقي فيـــها حســـــاب القدر

يا أبـــا مـــدين ما كنـــت أريـــد
أن أخوض اليــوم فيما قد يزيد
لكـن الإنصـاف أحرى بالمجـيد   لا يضــيع الحـق عنـد المنصـــف

الـــدواوين التـــي قـــد طبـــعت
فـــي كتـــاب واحـد قـــد أنجزت
أنـــت أصـــدرت وما زلت تبت   شـــكر الله لك الفضـــل الكـــبير

يا أبـا مـــدين أعطـــيت الكثـير
صـــورة الواقع مرآة الصـــدور
وعلى رســـلك فالدين عســـير   وإذا أمهـلت ياتـــيـك الســـداد
وإذا القـــاعـــــد أعـــيــــاه القيـــام
فهـــو لا يعـــدم أســـباب الكـــلام
حـــين عـاد الشـيخ يزهي كالغـلام   راح يســـتذكر أيـــام الشـبـاب

كنت في ماضيك موفـور الطلاب   تتـوخى الصـــدق في نيل الرغـاب
وإذا المضمون في شـــكل كتـــاب   فيه أفضـــالك تبقـى للخـــلود
كانـــت الـــرائـــد فـــيـــنا نـــدوة
تنـــشـــر الـــرأي تـعـــالـــى جـــرأة
هكذا ما كنت تخـــشى جـــفـــوة   حينمـا كنت تنـادي بالبـــناء

والـذي تبغـيه من أجل الهـدف

صحـة المبدأ والقصـد الأعـف

تتحـاشـى كل أضـرار الجنـف فاحتذاك الجيـل نهجا وشـعارا

وعـكاظ لسـت أنسـى فتـرة

كنت فيها مستفيضا صـحوة

حين خطـطت وجـدنا وثبـة صوب أسبوع عكاظ في امتداد

دعـوة وجـهـها للأدبـاء

فاستجاب الكل حتى الشعراء

حـين أعطوا طاب بالكم الأداء غير أن الكيـف قد جاز الحدود

ولك المعـلـم في دار البـلاد

تتـولى صـيحـة عبـر السـداد

خدمة للشّعب فـي درب الرشـاد هكـذا كنـت وما زالت تؤدي

والـدراسـات التـي أنجـزتهـا

هي أمـواج ... وقد أرسـلتهـا

ضمن أثباج ..وإذ حقـقـتها جسـدت وعـي الأديب العربي

يـا أبـا مـدين يـا رمـز الشـمم

يا رفــيــق الــدرب في دنيا القلم

كل ما قــد قلـتــه بعـض الأهــم فجــزاك الله أضعــاف الجزاء

يوم تـكريمــك عيــد الأصــدقاء

في مقام الحــب طاب الاحتـــفاء

والذي في القلب من عمق الإخاء هو من عرسك في حفل الأدب

حـفلـــة التكـريم في دارة خوجــه

موجـــة مكرمـــة تلحـق موجه

آثــر القائـــد بالزفـــة فوجه وهـــو بالتــكريم عـــز الأدبـــاء

جدة محمود عارف